



مركز بروكينجز الدوحة
BROOKINGS DOHA CENTER

موجز السياسة

ديسمبر 2015

التعامل مع دلهي:

كيف ترسم الثقافة سياسة الهند تجاه الشرق الأوسط

كديرا بشاغودا

التعامل مع دلهي: كيف ترسم الثقافة سياسة الهند تجاه الشرق الأوسط*

كديرا بشياغودا

B | Foreign Policy
at BROOKINGS

* كتبت النسخة الأصلية لهذا البحث باللغة الإنجليزية وهذه ترجمة للنسخة الإنجليزية.

ملحة عن بروكنجز BROOKINGS

إن معهد بروكنجز هو مؤسسة غير ربحية تقدم بحوثاً وحلولاً سياسية مستقلة. يهدف المعهد إلى إجراء بحوث عالية الجودة ومستقلة يستند إليها لتقديم توصيات عملية ومبتكرة لصناعة السياسات وال العامة. تعود الاستنتاجات والتوصيات الموجودة في كافة منشورات بروكنجز إلى مؤلفيها وحدهم، ولا تعكس وجهات نظر المعهد أو إدارته أو الخبراء الآخرين.

يعترف معهد بروكنجز بأن القيمة التي يقدمها إلى داعميها تكمن في التزامه المطلق بالجودة والاستقلالية والتأثير. كما وأن الأنشطة التي تدعمها الجهات المانحة تعكس هذا الالتزام، علمًا بأن الهبات لا تحدّد بأي شكلٍ من الأشكال التحليلات والتوصيات.

حقوق النشر محفوظة © 2015

معهد بروكنجز
1775 طريق ماساشوستس، شمال غرب
واشنطن العاصمة، 20036 الولايات المتحدة
www.brookings.edu

مركز بروكنجز الدوحة
الساحة 43، بناية 63، الخليج الغربي، الدوحة، قطر
<http://www.brookings.edu/doha>

التعامل مع دلهي: كيف ترسم الثقافة سياسة الهند تجاه الشرق الأوسط

کدیرا بُشاغودا^۱

دور الثقافة في السياسة الخارجية

مقدمة

يعترف معظم صناع السياسة بالدور الذي تؤديه الثقافة في السياسة الخارجية.⁵ وتكشف دراسات حول السياسات الخارجية للهند ودول الشرق الأوسط أن الثقافة تؤدي دوراً هاماً.⁶ بينما تشكل الثقافة عاملاً واحداً من بين مجموعة من العوامل التي تدعم السياسة (على سبيل المثال المصالح الاستراتيجية والاقتصادية)، فإنها تحظى باهتمام ضئيل نسبياً، لا سيما في ما يتعلق بنهج الهند تجاه الشرق الأوسط.

يزيد مفهوم الثقافة المعقّد ومعانيه المتعدّدة في مختلف التخصصات من صعوبة فهم دور الثقافة في الشؤون الدوليّة.⁷ وبهذا، لا بدّ من اعتماد مفهوم ثقافة ينافق مع الكثير من المطبوعات في مجال العلوم السياسيّة والاجتماعيّة التي تتناولها ويسمح بتناول الثقافة كمتغير يؤثّر على السياسة الخارجيّة. سيركز موجز السياسة هذا على القيم الثقافية، التي تُعرّف على أنها مثل اجتماعية قابلة للإدراك يُظهر الناس تجاهها ببعض الاهتمام العاطفي.

نظراً لكون هذه القيم مثالية، لا يمارسها بالضرورة أغلب أفراد المجتمع.⁸ ستشبه القيم من الناحية المفاهيمية "النماذج المثلالية" التي يطرحها ويلبر. حتى في ما يتعلق بالمثل العليا، نلاحظ أنها تتتنوع كثيراً ضمن المجتمع الهندي.⁹ وبالتالي، ستقتصر القيم الثقافية التي تم تحديدها بتلك التي سادت عى مر التاريخ والتي تؤثر اليوم على المجتمع.

وغالباً ما يُعبرُ عن القيم الثقافية على مستوى السياسة

إن "النماذج الثقافية والقيم الروحية والإرث المشترك" تدعم السياسات الاجتماعية والخارجية الهندية والإماراتية، حسب ما جاء في البيان المشترك الصادر عن الدولتين بعد زيارة رئيس الوزراء الهندي ناريندا مودي.² لم تبني أي دولة من الدول العظمى الناشئة والراسخة علاقات ثقافية أعمق أو أطول مع الخليج من تلك التي بنتهما الهند. بالإضافة إلى ذلك، يمكن القول بأن ما من قوة تعتمد على المنطقة كالهند، بفعل تجارة الطاقة والتحويلات النقدية. يُعد مجلس التعاون الخليجي الشريك التجاري الأكبر للهند.³ وبالإضافة إلى المصالح الاقتصادية التي تعتمد عليها العلاقات بين الهند والخليج منذ فترة طويلة، تتنامي العلاقات حاليًّا من الناحية الاستراتيجية بسبب الديناميكيات العالمية المتغيرة.⁴ في هذا الوقت المحوري، من الضروري أن تفهم دول الخليج الدور المهم الذي تؤديه الثقافة في سياسة الهند تجاه الشرق الأوسط.

يتناول موجز السياسة هذا الثقافة الهندية وكيفية تأثيرها على نهج نيودلهي في المنطقة من خلال سبيلين أساسين: القيم والهوية. كما يقدّم بعد ذلك توصيات لصناع السياسة في دول الخليج حول كيفية استخدام هذه المعرفة لدعم المصالح الاستراتيجية والاقتصادية وتعزيز العلاقات الثنائية الطويلة ذات المنفعة المتبادلة مع الهند. إنّ فهم الأدوار التي تؤديها الثقافة في دعم المصالح وتنقيتها من شأنه أن يساعد الدول على الاستجابة من خلال وضع سياسات مستنيرة أكثر وأدوات ومؤسسات مجهزة بشكل أفضل.

¹ كديرا بشياغودا هو زميل زائر بمركز بروكينجز الدوحة، متخصص بالعلاقات الأساسية والشرق الأوسطية. ترجمَ أبحاثه على علاقات الهند بدول الخليج، وذلك من خلال الاعتماد على خبرته في سياسة الهند الخارجية في الأوساط الأكادémية ومبراًكت صنع القرار. يود بشياغودا أن يشكر كل من سلطان بركات، مدير الأبحاث في مركز بروكينجز الدوحة، على نصائحه القيمة؛ ورانيا عيتاني وساجا عيتاني، المسؤولين عن الاتصالات في مركز بروكينجز الدوحة، على ملاحظاتهم ومعلوماتهم الثمينة. ويؤكد بشياغودا امتنانه للمساعدين الباحثين في مركز بروكينجز الدوحة على الدعم التحريري الذي قدموه، ولفريق قسم الاتصالات في مركز بروكينجز الدوحة مجدهم في الترويج؛ ويروكينجز الهند للاتصالات التي وفرها له، وللعملاء والأصدقاء الذين ميّبخلوا عليه بوقتهم ولا يملّونه بمحاجاته البناءة.

Joint Statement between the United Arab Emirates and India²
<http://pib.nic.in/newsite/PrintRelease.aspx?relid=126127>

³ http://articles.economictimes.india.com, ذی ایکونومیک تاپز، 18 نیاں 2015ء، India, Gulf Nations Rapidly Becoming Biggest Trading Partners

[.times.com/2015-01-28/news/58547070_1_indian-business-professional-council-trade-partner](http://times.com/2015-01-28/news/58547070_1_indian-business-professional-council-trade-partner)

⁵ بیتر ج. کاترنشتاین، *Introduction: Alternative Perspectives on National Security*، *World Politics*، 49 - 23، (1996).

⁷ ر.ب. ج. وولك، ج. (1990)، (الولايات المتحدة الأمريكية: مطبعة جامعة أسمغار)، United States Since 1945، The Concept of Culture in the Theory of International Relations، في شاي، ج. (نسخة منقحة).

٨ شلدون سميث وفيليب د. يونغ *Cultural Anthropology: Understanding a World in Transition* (لندن: ألين وبايدن، 1998)، 28.
٩ ماكس فيبر، *The Methodology of the Social Sciences* (نيويورك: ذا فري برس، 1949).

⁹ ماکس فیبر، The Methodology of the Social Sciences (نیویورک: ذا فری برس، 1949).

بالسياسة الخارجية لأن العنف يبقى الأداة القصوى والأخيرة في العلاقات الدولية المعاصرة. تعزز البوذية، والجاينية على نحو أقل، تحول المجتمع الفيدي، الذي نشأ مع الأوبنرشاد (التي تعاشق اللاعنف) إلى مجتمع ساد فيه اللاعنف كقيمة ثقافية.¹⁵ تعاظمت هذه القيمة أكثر في القرون الوسطى حين استجابت الهندوسية للبوذية والجاينية واستولت بعضاً من قيمها.

أثناء حركة الاستقلال، قام قادة كغاندي بتحديد الهوية الهندية على عكس السياسة البريطانية آنذاك وذلك جزئياً من خلال سياسة اللاعنف.¹⁶ وأصبحت هذه القيمة بعد الاستقلال مكرسة ضمن صورة البلاد القومية.

رغم صراعات متعددة مع باكستان وسريلانكا ودول أخرى، وبالمقارنة مع دول كبيرة أخرى، بدا اللاعنف قيمة واضحة في السلوك المقيّد نسبياً الذي اعتمدته الهند في الحرب وفي موقفها النووي ونفورها العام من الاستراتيجيات الأمنية الشاملة.¹⁷ حتى عندما لم تتعكس قيمة اللاعنف عبر أعمال الهند، توسيع الموارد الدبلوماسية لتعزيز صورة غير عنيفة تشهد على انتشار هذه القيمة. إنَّ حقيقة أنَّ هذه الصورة قد عرضت في بعض الأوقات المصالح الاستراتيجية للخطر، تشير إلى أنها مهمة بحد ذاتها، أكثر مما هي خدعة لتعزيز مصالح أخرى.¹⁸

أما التعددية، والتي تُعرَّف بأن الناس يعبرون وجود مجموعات وأفكار وأشكال ثقافية ومعتقدات متنوعة ضمن المجتمع هو المعيار، فقد بقيت سائدة خلال معظم فترات التاريخ الهندي وشكلت طموح الدولة الحديثة منذ الاستقلال. وتتجذر هذه القيمة في التقاليد الفلسفية الهندوسية والبوذية، وكذلك في التكيف والامتصاص والتفاعل التاريخي بين مجموعات مختلفة.¹⁹

بينما تستلزم التعددية رؤية التنوع كحالة طبيعية، يعني

الخارجية من خلال تفضيلات القادة وتصوراتهم.²⁰ إذ إنَّ القيم تحفّز هذه التفضيلات والتصورات وتشكلها وتأثير عليها، الأمر الذي يمكن ملاحظته إما في الخطاب أو في سلوك الدولة.²¹

القيم الهندية

ضمن التنوع الذي يميّز الهند، يمكن أن نصنف مجموعة من القيم الثقافية المهيمنة والقادرة على التأثير على السياسة الخارجية. ويعزى ذلك جزئياً إلى عمليات التكامل الثقافي الذي بدأ في العصور الوسطى، والذي تعاظم في ظل الحكم الإسلامي والبريطاني، وزاد أكثر خلال فترة بناء الأمة الحديثة.²² إنَّ التأثير الذي تخلّفه أي اختلافات في القيم على أساس الدين تلغيه حقيقة أنَّ أغلبية الناس تؤمن بالهندوسية، علماً أنَّ الهندوسية بحد ذاتها تأثرت بغالبية التقاليد الدينية التي مرت على التاريخ الهندي، بما في ذلك ثاني أكثر الأديان انتشاراً، أي الإسلام.

قلة قليلة هي القيم الثقافية التي بقيت سائدة على مر التاريخ الهندي (وفقاً لدراسة تتناول نصوصاً تاريخية هامة) والتي لا تزال على صلة بالسياسة الخارجية الراهنة.²³ وتشمل هذه القيم اللاعنف والتسامح والتعددية والهوية، وهي جميعها قيم أساسية ومتصلة وجواهرية إلى حدٍ ما.²⁴

بينما تظهر هذه القيم الأربع في خطابات العديد من الدول، إلا أنها أثرت بشكل خاص على سياسة الهند الشرق الأوسط. وعلى الرغم من أنَّ قيمَاً أخرى قد تؤثر على السياسة الهندية، إلا أنها لن تتمَّ مناقشتها نظراً لأنَّها غير فريدة من نوعها بالنسبة إلى الهند وتأثير على صناعة السياسة الشرق الأوسطية في قوى عظمى أخرى على حد سواء.

إنَّ قيمة اللاعنف، كمثال أعلى سائد، تمتَّ عبر الخيوط الثقافية المتنوعة في الهند. فهي بشكلٍ خاص ذات صلة

¹⁰ يختلف موجز السياسة هذا عن الدراسات الثقافية الاستراتيجية. من خلال النظر إلى القيم الثقافية، يبحث هذا الموجز في التاريخ الاجتماعي الثقافي الهندي الأوسع لتحديد متغيرات مستقلة التي يمكن البحث في الأثر الذي تركه على سياسة الشرق الأوسط.

¹¹ ك. ج. هولستي، National Role Conceptions in the Study of Foreign Policy, International Studies Quarterly, 14, رقم 3: 309–233 (1970).

ريتشارد نيد ليبوو، A Cultural Theory of International Relations (كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، 2008)، 41.

¹² ف. سوبرامانيايام، Cultural Integration in India: A Socio-Historical Analysis (دلهي: أشيش، 1979)، 7–46.

¹³ إنَّها قيم برزت خلال المرحلة التطورية للحضارة الهندية، بدءاً من الفترة الفيدية وصولاً إلى بداية العصور الوسطى. هذه القيم هي التي تعبَّر عن ذاتها في الدولة القومية الراهنة.

¹⁴ ب. شياجود، The Influence of Cultural Values (دلهي: بريغز سينيورتي إنترناشونال، 2008)، 2.

¹⁵ أ. ل. باشام، Wonder That Was India (لندن: بيكادور، 2004)، 215، 286؛ و. راهولا، What the Buddha Taught (لندن: غوردن فريزر غاليري، 1978)، 46.

¹⁶ م. ك. غاندي، The Collected Works of Mahatma Gandhi (دلهي: وزارة الإعلام والبث في الحكومة الهندية، 1937)، المجلد 64.

¹⁷ ب. كارناد، India's Nuclear Policy (ويسبروت: بريغز سينيورتي إنترناشونال، 2008)، 3.

¹⁸ يمكن ملاحظة ذلك في نهج الهند إزاء التدخل الإنساني حين تفوق أحياناً تفضيل السلام بين الدول على المصالح الاستراتيجية مع الغرب. في ما يتعلق بالملوّق النووي،

روجت دلهي للسياسة التي انتهجتها سياسة لا للاستعمال الأول، أحياناً على حساب الردع (بشايجود، The Influence of Cultural Values (دلهي: بريغز الردع، 2008)، 243).

¹⁹ روميلا ثابار، The Penguin History of Early India: From the Origins to AD 1300 (دلهي: بنغوان بوكس، 2002)، 122.

تأثير القيم على سياسة الشرق الأوسط

بينما كان للقيم على الدوام تأثيرٌ كبيرٌ على السياسة الخارجية، توّعت طبيعة هذا التأثير منذ الاستقلال. قبل بداية تسعينيات القرن الماضي، كانت سياسة الهند الخارجية، التي هيمن عليها حزب المؤتمر الوطني الهندي (المشار إليه آنذاك بالمؤتمري)، خليطًا من مثالية نهرو وواقعية آنديرا غاندي.²⁹ تركت هذه النهج إرثًا فكريًا في مؤسسة السياسة الخارجية، خصوصًا الشؤون الخارجية الهندية.³⁰

أثرت القيم الثقافية بشكلٍ أوضح على سياسة نهرو الخارجية، بما في ذلك العلاقات مع الشرق الأوسط.³¹ خلال مرحلة ما بعد الاستقلال من أربعينيات إلى سبعينيات القرن الماضي، أسس نهرو حركة عدم الانحياز مع الزعيم المصري جمال عبد الناصر وتزعمها. انبثقت عقيدة حركة عدم الانحياز على نطاقٍ واسع عن حركة الاستقلال الاعنفية في الهند وأعطت الأولوية للحلول السلمية للنزاعات الدولية. وقد برهنت الحركة عن طابع التعددية.

بالتزامن مع دعمها لحركة عدم الانحياز والذي تحرّكه القيم، ارتبطت نخبة السياسة الخارجية الهندية بالنضال العربي القومي بقيادة مصر ودعمته. مع ذلك، حافظت الهند على موقفٍ محايدٍ إلى حدٍ كبيرٍ في ما يتعلق بـ"الحرب الباردة العربية" الإقليمية التي نشبت في خمسينيات وستينيات القرن الماضي، بين الجمهوريات العلمانية التي تميل إلى الاشتراكية والممالك الموالية للغرب.³² ألقى رانجييت غوبتا (الذي شغل منصب رئيس قسم غرب آسيا وشمال أفريقيا التابع لوزارة الشؤون الخارجية، وسفيراً لليمن وسلطنة عمان، ومناصب دبلوماسية في مصر والمملكة العربية السعودية) الضوء على

التسامح قبول الأفكار والمعايير والقيم المتناقضة.²⁰ إن نظام استيعاب وفهم الهويات والأفكار والممارسات المتنوعة والقدرة على دمجها، يضع الحضارة الهندية بعيدًا عن حضارات أخرى كثيرة.²¹

في مرحلة ما بعد الاستقلال في الهند، ميّز التسامح والتعددية فكر النخبة السياسي.²² حسب الاستطلاع العالمي لقيم 2010 - 2014، احتلت الهند في محور "قيم البقاء مقابل قيم التعبير عن الذات" مرتبة أعلى من تلك التي حققتها أي دولة آسيوية أخرى أوردها هذا الاستطلاع.²³ إن تحقيق مرتبة عالية وفقاً لهذا المقياس يشير إلى التسامح المتزايد لدى بعض الأقليات. بينما واجهت التعددية والتسامح على الصعيد المحلي تحدي بعض الحركات السياسية على مدى العقدين الماضيين، إلا أنهما لم يتم إزالتها كقيم عليا بين الأكثريات كما شهدنا في نتائج الانتخابات الأخيرة.²⁴

تُعرّف قيمة الهرمية هنا على أنها التصور بأن العلاقات الاجتماعية تنشأ ضمن نظام هرمي وقبول هذا التصور كمعيار. للهرمية تاريخٌ طويل، وهي ناجمة عن تطور العناصر الأولى للنظام الظيفي خلال الفترة الفيدية.²⁵ نتيجة لذلك، أيد القادة الهنود "نظرة هرمية" ترتيب الدول ضمن تسلسل هرمي.²⁶ ويمكن قياس تصنيف دولة معينة من خلال القوة الاستراتيجية والعسكرية والاقتصادية، وكذلك الأخلاق والأيديولوجيا والثقافية.²⁷ وتحمل هذه النظرة أيضًا أنه لا بد للهند أن تكون على رأس النظام الدولي. في حين أنّ قواعد خطاب الشؤون الدولية الحديثة حالت دون التعبير العلني عن هذه النظرة، إلا أنها كانت واضحةً جدًا في أعمال الهند في المجالات السياسية الرئيسة، كالموقف النووي.²⁸

²⁰ سوبرامانيام، 32، *Cultural Integration in India*

²¹ الإشارة إلى بعض الفترات من التاريخ التي يُبَيِّنَ تسامحًا أكبر من فترات أخرى؛ ب. ساراسوتي، (دلهي: د. ك. برينتورود إل تي دي، 1996)، 8، 296.

²² ستيفان ب. كوهن، *India: Emerging Power*، (واشنطن العاصمة: مطبعة معهد بروكينجز، 2001)، 11، 302.

²³ راجع الملحق 1.

²⁴ راجع ص. 7 و10 من موجز السياسة.

²⁵ للاطلاع على أهمية الحقبة الفيدية راجع: كوهن، *India: Emerging Power*؛ إس. إل وب، *The Influence of Cultural Values*، 61-4؛ باتياغودا، 9؛ باتياغودا، 61-4؛ *India*: *Emerging Power*، (دلهي: مركز آسيا والمحيط الهادئ الإعلامي لحقوق الإنسان، 1997).

²⁶ باتياغودا، 128، *The Influence of Cultural Values*

²⁷ جورج ك. تانهام، *Indian Strategic Thought: An Interpretative Essay*

²⁸ باتياغودا، 5، *The Influence of Cultural Values*

²⁹ علماً أن أيًّاً منهما لم يكن مثالياً أو واقعياً في شكلٍ تام.

³⁰ جواهر لال نهرو، *India's Foreign Policy* (دلهي: وزارة الإعلام والبث، 1961)، 102.

³¹ روت، *Comrades at Odds*

³² غريغوري غوس، *Beyond Sectarianism: The New Middle East Cold War* (بروكينجز، 2014)، 11، (الورقة تحليلية رقم 11، مركز بروكينجز الدوحة، يوليو 2014)، <http://www.brookings.edu/~/media/research/files/papers/2014/07/22%20beyond%20sectarianism%20cold%20war%20gause/english%20pdf.pdf>

الشرق الأوسط). وجاء ذلك نتيجة القيم الثقافية بالإضافة إلى مناهضة الاستعمار والمصالح المادية/الاستراتيجية وتضامن العام الثالث، بالإضافة إلى السياسات المحلية.³⁵

تبني الغرب نظرةً أكثر ليبراليةً وتضامنيةً، مرتكزاً على الأفراد وداعماً لفلاهيم على غرار "الأمن البشري". شعر القادة الغربيون أنه كان من واجب "المجتمع الدولي" أن يتدخل في وجه انتهاك بعض الحقوق.³⁶

إلا أن الثقافة الهندية تُعد أقل فرديةً وأكثر جماعيةً مما هي عليه معظم الثقافات الغربية، أي أن دلهي تركز أكثر على المجموعات أو "الشعوب" أكثر مما تركز على الأفراد. بالإضافة إلى ذلك، تساعد تجربة الهند الاستعمارية في تكريس نظرية أن الدولة المستقلة كانت الممثل الشرعي للشعب في الشؤون الخارجية. بذلك، غالباً ما عبرت دلهي عن قلق إزاء العنف بين الدول أكبر من قلقها إزاء العنف داخل الدول على غرار انتهاكات حقوق الإنسان واسعة النطاق المزعومة.³⁷ وبالتالي، عارضت الهند التدخل الإنساني من دون موافقة الدولة، لأنها مثل عنفًا بين الدول.³⁸

بالإضافة إلى ذلك، بالمقارنة مع نصوص معظم الديانات الإبراهيمية، لا تؤمن الديانات الهندوسية والبوذية بشكل عام بفكرة الحرب "المحقة" و"العادلة".³⁹ إن النصوص، على غرار ما هابهاراتا والتي تتناول أخلاقيات الحرب المقدمة، تناقش موضوعها ضمن سياق اجتماعي، سياسي وثقافي أوسع سادت فيه قيم اللاعنف وعدم الضرر. كذلك، طبقت الهند التعددية والتسامح دولياً، فقبلت مختلف أنواع الأنظمة والمجتمعات.

ونظراً لأن بعض حكومات الشرق الأوسط تواجه خطراً أكبر بالتدخل الأجنبي لقوى غير إقليمية وإقليمية من ذلك الذي تواجهه الحكومات في أي منطقة أخرى تقريباً، ساعد موقف الهند إزاء التدخل في تعزيز صورتها في عدد من الدول. وفي حين غالباً ما يؤدي تغيير النظام في الشرق الأوسط إلى إعادة رسم التحالفات الثنائية بشكل حاد، إلا أن العلاقات الثنائية مع الهند بقيت ثابتة نسبياً.

مبدأ العيادية مشيراً إلى أنه بعد عهد نهرو - عبد الناصر "لم ننجاز أبداً لأي طرف في أي نزاع إقليمي".⁴⁰ وكذلك، رغم مناهضة الهند الشديدة للاستعمار وغياب ثقتها بالغرب وتصويتها ضد تقسيم فلسطين ودخول إسرائيل إلى الأمم المتحدة وتصويتها لإدانة الصهيونية إلى جانب العنصرية، إلا أن نيودلهي اعترفت لاحقاً بالدولة اليهودية في العام 1950. أما في ما يتعلق بإيران، ضمنت قيم التسامح والتعددية عدم ميل العلاقات كثيراً إلى اتجاهٍ أو آخر بعد الإطاحة بمحمد مصدق في العام 1953 وثورة العام 1979.

أحدثت الأزمة الاقتصادية التي عصفت بالهند في التسعينيات والإصلاحات التي تلتها، بالإضافة إلى نهاية الحرب الباردة تغييراً بسيطاً في كيفية تأثير الثقافة على نهج البلاد في ما يتعلق بالسياسة الخارجية. إذ انخفض التعبير الصريح عن القيم في الخطاب الحكومي، رغم استمرار تأثير هذه القيم على سلوك الدولة.

عندما سُئل دبلوماسيون هنود كبار سابقين وحاليين يعملون في مجال العلاقات مع الشرق الأوسط خلال مقابلات أجروها عن المبرر الأساسي لعدد من المواقف السياسية، كشفوا عن قيم عميقة متجذرة. قال سانجاي سينغ، سفير ووكيل سابق في وزارة الشؤون الخارجية الهندية لشئون الشرق، "إنها الطريقة الفضلى للتصرف"، وأضاف أن قيم التسامح والتعددية التي قدمتها الهند للخارج بالإضافة إلى أمور أخرى انبثقت من التنوع والروح السياسية والثقافية في الداخل. وأشار رانجييت غوبتا أن هذه القيم هي "جزء من كل هندي" وأن الهند تدير "سياساتها الخارجية وفقاً لقيمها وروحها الحضارية".⁴¹

ومن أهم الطرق التي تؤثر القيم الثقافية الهندية من خلالها على علاقاتها مع الشرق الأوسط نذكر موقف دلهي من التدخل العسكري الدولي في المنطقة، غالباً عبر التدخلات الإنسانية. تُعتبر الهند، كالعديد من الدول الغربية، دولة ديمقراطية وتعددية وليبرالية نسبياً. ولكن، حتى العقد الماضي، كانت الهند ضمن كتلة الدول الموالية للسيادة والمناهضة للتدخل (تضم هذه الكتلة أيضاً معظم دول

³³ مقابلة أجراها المؤلف مع رانجييت غوبتا، دلهي، 10 يونيو، 2015.

³⁴ مقابلة أجراها المؤلف مع سانجاي سينغ، دلهي، 11 يونيو 2015.

³⁵ إن تدخلات الهند في الدول المجاورة الأصغر حجماً هي أمثلة حيث تجاهلت المصالح الاستراتيجية القيم. يظهر دور القيم الثقافية بدقة أكبر في مسائل التدخل التي تذهب إلى بعد مما نشير إليه هنا كمسألة مبدأ. وقامت بذلك دول أخرى تدعم التدخل جزئياً بسبب قيمها الخاصة.

³⁶ نيكolas J. Weller, (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 2000)، 2-11.

³⁷ Psychology in India Revisited: Developments in the Discipline

³⁸ كديرا بشاغودا، India's Approach to the Responsibility to Protect and Humanitarian Intervention (ورقة عمل، معهد قانون

³⁹ الأخلاقيات والنزاعات المسلحة، جامعة أكسفورد، أكسفورد، 2013)، 5.

⁴⁰ تكميل هذه الأسباب معارك خاضتها الهند ضد الحركات الانفصالية/المتمردة في ما يتعلق بتفضيل الهند جذب اهتمام دولي أقل. لمزيد من التفاصيل، راجع بول روبنسون، Just War in Comparative Perspective (أوتاوا: أشغالات بوبليشنغ، 2003)، 123.

شكل الهوية القومية.

للهوية تأثير أكثر وضوحاً من تأثير القيم على سياسة دلهي الخارجية. إن ما يحدد ملامح الهوية القومية الهندية هو كيف يشعر الشعب والحكومة أن الهند تختلف عن العالم الخارجي. فالهوية هي محركاً للسياسة الخارجية أكثر وعيّاً وهادفاً أكبر وأكثر سطحية وبشكلٍ أو آخر من القيم. لقد غذى تياران رئيسيان الهوية القومية الهندية الراهنة.

الهوية النهروية

تألف أحد التيارين من آراء رسمتها الخطوط المهيمنة لحركة الاستقلال وغاندي، ونقلها نهرو إلى مرحلة ما بعد الاستقلال. تتلون الهوية القومية هذه بالقيم الثقافية المذكورة أعلاه. مكرراً تعاليم أشوكا وأكبر، شرح غاندي التسامح مشيراً إلى أنه ليس من الضروري أن تكون المساعي الدينية والروحية مرتبطة بهوية جماعية. أراد واضعو الدستور الهندي الاعتراف بشكلٍ مناسب بأهمية التعددية الدينية.⁴²

إرث السياسة النهروية تجاه الشرق الأوسط

صحيح أن الهوية النهروية قد واجهت تحديات في السياسات المحلية منذ تسعينيات القرن الماضي، في ما يتعلق بالسياسة حول الشرق الأوسط، إلا أن إرثها بقي مناً بعض الشيء. كان حزب المؤتمر أكثر حماسةً من حزب بهاراتيا جاناتا في تعزيز هذا الشكل من أشكال الهوية.

واستكمالاً لإرث النهروي العلماني محلياً، أسس حزب المؤتمر قاعدة انتخابية بين الأقليات الدينية في الهند، بما في ذلك المسلمين. وقد أتاحت ذلك للهوية المسلمة الهندية، التي تحملها مجموعة قوية تعدادها 180 مليون فرد - أي ما يقارب 15 بالمئة من مجموع الشعب في العام 2011، التأثير على السياسة المعتمدة إزاء الشرق الأوسط.⁴³ ولا يزال حزب المؤتمر وحزب بهاراتيا جاناتا والبيروقراطية يشرون إلى الشرق الأوسط بـ "غرب آسيا" - الأمر الذي يعكس شعوراً مشتركاً بالهوية مع جنوب آسيا.

خلال الحقبة النهروية، ارتبطت دلهي بالأنظمة العربية القومية العلمانية. إن علاقة الصداقة الهندية - المصرية القائمة على أساس حركة عدم الانحياز حضرت الأرضية للسياسات الموالية للعرب. وقد خلقت موسوعاً لرؤية المنطقة استمر

علاوة على ذلك، غالباً ما يختلف الشرق الأوسط والغرب حين يتعلق الأمر بالحقوق المدنية والسياسية. الهند هي ديمقراطية ذات مجتمع مدني نابض بالحياة ويمكن مقارتها بالدول المتطرفة، وتتمتع بتاريخ من الحقوق الفردية المكرونة في قوانينها. رغم ذلك، غالباً ما عارضت دلهي تطبيق حقوق الإنسان في الخارج. بالنسبة لمعظم دول الشرق الأوسط، كان من شأن ذلك تعزيز مصداقية الهند وقيمها كشريك.⁴⁰

البيئة الاستراتيجية ممرحلة ما بعد الربيع العربي

كشفت مقابلات أجريت مع مسؤولين كبار في وزارة الشؤون الخارجية الهندية المعنيين بشؤون الشرق الأوسط استمرارية قوية في نهج الهند المبدي القائم منذ فترة طويلة. كانت قيم التعددية والتسامح واضحةً، إذ أظهر أحد المسؤولين العلاقات الودية التي تجمع الهند بفلسطين وإسرائيل والمملكة العربية السعودية وإيران.⁴¹ وأشار المسؤول نفسه إلى أن الهند تدعو لحوار سياسي في سوريا وإلى التوصل لحلول سلمية لإنهاء الصراع في ليبيا واليمن، وأضاف: "إتنا لا نُصدِّر الديمocrاطية". وأبدى أنه يفضل عدم التدخل. إن قيمة اللاعنف تبقى جلية، مع رفض واضح للتدخل العسكري. وأشار المسؤولون في وزارة الخارجية الهندية الذين أجريت معهم مقابلات إلى أن الالتزام بالقيم في السياسة الخارجية يخدم مصالح الهند.

تحرك الهمية والهيبة جزئياً حماس دلهي لتأدية دور استراتيجي أكبر في الشرق الأوسط، وهو دور أصبح ممكناً بفضل تعددية الأقطاب. تقع المنطقة على الطرف الغربي للمحيط الهندي، وهو ما تعتبره مجالهاً "الشعري" لنفوذها، وهذا "حق" مستحق للهند بسبب وضعها الراهن كقوة عظمى.

عكس البيان الهندي - الإمارati المشترك الذي تلا زيارة مودي التأثير المستمر للقيم الثقافية في ظل الحكومة الراهنة. يظهر مبدأ اللاعنف جلياً من خلال تعزيز البلدين للسلام، ودعمهما مبدأ اللاعنف في تسوية النزاعات، وتقديم سياسة عدم التدخل في حل النزاعات. كما ودعا البيان للتسامح وعكس التعددية.

الهوية القومية الهندية

بينما بقيت الثقافة السائدة في الهند متسقة إلى حد كبير منذ الاستقلال، شهدت العقود القليلة الأخيرة تغييراً في كيفية تأثير الثقافة على السياسة الخارجية؛ فقد أدت دوراً أكبر في تحديد

⁴⁰ يبيّن الجدول 1 (ملحق ج) كيف أثرت القيم الثقافية المذكورة أعلاه في نهج الهند بالنسبة لمختلف التدخلات في الشرق الأوسط على مدى العقود القليلة الأخيرة.

⁴¹ مقابلة أجراها الكاتب مع مسؤول رفيع المستوى من وزارة الشؤون الخارجية في الهند، دلهي، 11 يونيو 2015.

⁴² أمرتاي سن، The Argumentative Indian: Writings on Indian History, Culture and Identity، (لندن: بنغوان بوكس، 2005)، 309.

⁴³ فجايتا سنغ، Govt: Over 180 million Muslims in India but they are not part of global terror groups، إنديان إكسبرس، 24 فبراير 2015، <http://indianexpress.com/article/india/india-others/over-180-million-muslims-in-india-but-they-are-not-part-of-global-terror-groups-govt>

2014، أكْبَر انتصارات حزب بهاراتيا جاناتا، إذ فاز بـ52 مقعداً في مجلس الشيوخ.

رئيس الوزراء مودي

حتى العام 2014، أظهر سلوك الهند تجاه الشرق الأوسط بعض التغييرات الرئيسة، رغم التعديلات التي طرأت على كيفية تأثير الثقافة على الهوية في ظل حكومات حزب بهاراتيا جاناتا وحزب المؤتمر. ولكن في العام الماضي، انتخبت الهند حكومة برئاسة رئيس وزراء أكثر "قومية من الناحية الثقافية" من أي رئيس سبقه. ثمة جدال حول ما إذا كانت الهند تمتلك "استراتيجية كبيرة"، ما يترك السياسة الخارجية عرضة للتحولات محتملة قد تحريرها حكومات ذات ميلوأيديولوجية قوية. ضمن حزب بهاراتيا جاناتا بحد ذاته، اعتبر مودي منذ فترة طويلة أحد أكثر أنصار الهندوتفا حماسةً. ولطاملاً كانت الهوية القائمة على الثقافة أمراً أساسياً لأيديولوجيته ولنجاحه السياسي. ومثل خلفيته السياسية في الوقت نفسه المشاعر التي لا تؤمن بالتعديدية لحركة الهندوتفا القومية، والأديان التعديدية بشكل واضح التي يسعى إلى حمايتها.

إن النسب السياسي لرئيس الوزراء متاثر بالهندوتва إلى حد كبير.⁴⁶ قبل حزب بهاراتيا جانا، عمل مودي مع الحركة القومية الهندية وروج أيديولوجيتها.⁴⁷ كما كرس نفسه أيضاً للهندوسية، محاولاً المشاركة في عدة بعثات دينية من بعثات نظام راماكريشنا؛ التي أسسها سوامي فيفيكاناندا، الذي يرى في فيه مودي "مصدر إلهام شخصي".⁴⁸

توحّي خلفية مودي أيضاً أنه قد تبني نهج الهندوتفا إزاء المسلمين الهنود. كان مودي رئيس وزراء غوجارات حين شهدت الدولة أعمال شغب كبيرة توفي على أثرها 1,000 شخص على الأقل - معظمهم من المسلمين - واتّهم على الأقل بالاهمال.

بعد أن انتقل مودي من غوجارات إلى السياسة الوطنية، بدأ بإصلاح صورته وبالاقتراب من قلب الطيف الأيديولوجي. استمر هذا التوجه في أعقاب تعليقات طائفية وجهها قادة آخرين في حزب بهاراتيا جاناتا أدت إلى خسارة كبيرة في الانتخابات في دلهي. تبعاً لذلك، اتهمت حوادث العنف الطائفي الداخلي

حتى تسعينيات القرن الماضي. أشار السفير رانجيت غوبتا أن العراق وسوريا كانا بين أفضل أصدقاء الهند. وقد استمرت أجزاء من هذه الهوية بعد تسعينيات القرن الماضي، كما اتضح عبر حذر دلهي من محاولات الإطاحة بالقذافي في ليبيا والأسد في سوريا.

الهندوتفا

ظهرت هوية بديلة على المستوى الوطني في العقدين الأخيرين - الهندوتفا. وفي الوقت نفسه، حصل تحول وتوسيع في كيفية تأثير الثقافة على السياسة الخارجية، خصوصاً في ظل حكومات حزب بهاراتيا جاناتا. بينما تأثرت الهوية النهروية بالقيم الناجمة عن الثقافة الهندية المسيطرة، ضمت الهندوتفا اختيارات أكبر لرموز هذه الثقافة لتشكيل الهوية القومية.

تتكوّن معتقدات الهندوتفا الأساسية من وجهة نظر أن الهند هي أمة هندوسية، ذات "ثقافة وحضارة وحياة" تدين للهندوسية.⁴⁴ وشمل ذلك في بعض الأوقات أديان هندية أصلية أخرى على غرار البوذية والجايانة والسيخ.

ومن خلال تطبيق الهوية التي تحددها الديانة الهندوسية وتعزيزها، تتعارض أهداف حركة الهندوتفا على نحو ساخر مع بعض القيم الأساسية للهندوسية بحد ذاتها، ألا وهي التعديدية والتسامح. انتشرت هذه الأيديولوجية بفضل مجموعة واسعة من المنظمات المعروفة باسم سانغ باريفار، والتي تضم أحزاب سياسية قومية على غرار بهاراتيا جاناتا وتنارات شعبية (الحركة الهندية القومية).

إن الهوية الوطنية التي تدعمها أيديولوجيا الهندوتва ترك إثاراً كبيراً على العلاقات مع الشرق الأوسط. نشأت الهندوتفا جزئياً كردة فعل على الهيمنة الأجنبية. وبالتالي، تركز بشكل أساسي على البقاء المحسوس لهذه الهيمنة في المجتمع الهندي اليوم، لا سيما الديانات غير الأصلية، وأكبرها الإسلام. اهتمت حركة الهندوتفا بمحاولة دمج الأديان والقيم غير الأصلية ضمن الهوية القومية.⁴⁵ جمعت الحركة قوتها بعد النجاح الذي حققه حزب بهاراتيا جاناتا في الانتخابات في العامين 1996 و1998. وكان الانتصار الأخير، الذي قاده مودي في العام

⁴⁴ د. غوبال، النسخة الثانية (دلهي: رادا كريشنا براكاشان، 2000)، 8-17؛ إم إس غولواكار، *Thoughts*، النسخة الثالثة، (بانغالور: ساهيتي سندو براكاشنا، 1996).

⁴⁶ http://www.nytimes.com/interactive/2014/04/06/world/asia/modi-gujarat-riots-timeline.html?_r=0

PM India 47
http://articles.Narendra Modi invited to Ramakrishna Mission's headquarter in Belurmath 48
economictimes.indiatimes.com/2014-05-26/news/50099180_1_narendra-modi-swami-vivekananda-belurmath

القومية القائمة على الثقافة، فقد تحدث عن التأثير الإيجابي ليوم اليогا العالمي وشكر الإمارات العربية المتحدة لـ”دعمها القوي”. ووعد البيان كذلك بالتبادل الثقافي بين الدولتين.

كما وصرّح مودي علناً عن علاقات تربط بلده مع إسرائيل، متماشياً مع الخطاب التقليدي لحزب بهاراتيا جاناتا. وبينما اشتربت الهند الأسلحة الإسرائيلية لأكثر من عقد في ظل حكم حزب المؤتمر، بقيت العلاقة بين الدولتين متحفظة. في المقابل، عقد مودي أول اجتماع على مستوى رؤساء الوزراء منذ عشر سنوات على هامش الجمعية العمومية للأمم المتحدة في العام 2014. وتضمنت تعليقات رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيمانين نتانياهو على الاجتماع مراجع ثقافية وأيديولوجية. وأشار أن القائدين يمثلان ”اثنتين من أقدم الحضارات على الأرض... ودولتين ديمقراطيتين تفخران بتقاليدهما“.⁵¹ والأهم من ذلك، أعلنت دلهي أنه خلال السنة القادمة، سيكون مودي أول رئيس وزراء هندي يزور إسرائيل.⁵²

يبدو أن تحركات مودي تأثرت جزئياً بأيديولوجيا حزب بهاراتيا جاناتا الموالية لإسرائيل وهويته، كما لوحظ بين سياسيي الحزب وقادته. أشارت دراسة أجريت بتكليفٍ من وزارة الخارجية الإسرائيلية في العام 2009 أن الشعب الهندي أظهر التعاطف الأكبر إزاء إسرائيل بين القوى العظمى جميعها، بما في ذلك الولايات المتحدة.⁵³ ويصدر الدعم لإسرائيل عن ردة فعل الهندوتفا إزاء الإسلام. يعتقد المناصرون أن الهند وإسرائيل، الهندوس واليهود، يواجهون تهديداً مشتركاً من الإسلام المتطرف.

والدعم الأكبر الذي حظيت به إسرائيل جاء من الجالية الهندية المناصرة لحزب بهاراتيا جاناتا في الغرب، لا سيما في الولايات المتحدة. يحمل أفراد هذه الجالية من الطبقة الوسطى هوية تحدها الهندوسية أكثر مما تحدها الهوية القومية الهندية التي أسسها نهرو وغاندي.⁵⁴ عملت جماعات اللوبي الهندية، كلجنة العمل السياسي الهندي في الولايات

ونقد المجتمع المدني المتنامي موقف الحكومة من التسامح الديني بالمساهمة في خسارة الحزب الكبيرة في انتخابات ولاية بيهار. تمثل جهود مودي لإحداث التغيير على الأرجح محاولات لتنظيم مناصريه من غير الهندوتفا وأولئك الذين يخشون الأضطرابات الطائفية؛ وللمحافظة على صورة التسامح التي تميز الهند دولياً بما في ذلك بين الدول الإسلامية حيث حظي نقاش الهند حول التسامح بالتجطية؛ ولتليين المعتقدات بعد اكتساب قدر أكبر من المسؤولية والنجاح مع التقدم في العمر.

لقد سعى رئيس الوزراء إلى بناء صورة متسامحة، بما في ذلك في ما يتعلق بالإسلام. وبيدو ذلك واضحاً في زيارته رفيعة المستوى إلى الإمارات العربية المتحدة، حيث زار جامع الشيخ زايد الكبير وأشاد بـ”السلام والتناغم المتأصلين في الإسلام“.⁴⁹ محلياً، التقى مودي بالقادة المسلمين وعبر عن ثقته بأن مسلمي الهند مستعدون للحياة والموت من أجل الهند، وأن تنظيم القاعدة ”متوهّماً“ إن توقع دعمهم.⁵⁰

الهوية وسياسة الشرق الأوسط

بالتزامن مع براغماتية مودي المتزايدة، تتميز الحكومة الحالية بعددٍ من تيارات الفكر، بما في ذلك المصالح الواقعية/ الاستراتيجية واللبرالية/ المتمحورة حول التجارة، في ما يتعلق بالسياسة الخارجية العامة. رغم ذلك، لا يزال البحث في دور الهوية القائمة على الثقافة في السياسة المعتمدة إزاء الشرق الأوسط جدير بالاهتمام، نظراً لتركيز الهندوتفا في السابق على الإسلام واعتماد حزب بهاراتيا جاناتا على مناصري الحركة القومية الهندية لتنظيم حملة شعبية أثناء الانتخابات. كذلك، زاد مودي من استخدام الهوية القومية القائمة على الثقافة ومن الترويج لها في السياسة الخارجية، لا سيما في مختلف مناطق آسيا.

إن البيان الهندي - الإمارati المذكور أعلاه يعكس أهمية الهوية

⁴⁹ س.ج. مانوج، ذي إنديان، First Visit to a Gulf Arab Nation: At UAE Grand Mosque, Modi Hails 'Peace, Harmony Inherent in Islam'./<http://indianexpress.com/article/india/india-others/pm-narendra-modi-arrives-in-uae-for-two-day-visit/>، 17 أغسطس 2015.

⁵⁰ Indian Muslims Will Live, Die for India, Says PM Narendra Modi Indian. ذي إنديان إكسبرس، 17 أغسطس 2015.

<http://indianexpress.com/article/india/india-others/indian-muslims-wont-dance-to-the-tunes-of-al-qaeda-they-will-live-and-die-for-the-country-narendra-modi-meet-modi-on-modi-over-emerging-threat-of-terrorism/article7074243.ece>

⁵¹ ديفيروبا ميترا، ذي إنديان إكسبرس، 29 سبتمبر 2014، Sky's the Limit: Israel PM tells Modi in First PM-level Meeting in a Decade http://www.newindianexpress.com/express-in-america/Skys-the-Limit-Israel-PM-tells-Modi-in-first-PM-level-Meeting-in-a-Decade/2014/09/29/article2455133.ece

⁵² رغم تأخر إعلان موعد الزيارة، ربما بسبب الاعتبارات السياسية المحلية.

⁵³ إيتامار إشر، Ynet News، 4 مارس 2009، From India with Love. Ynet News .http://www.ynetnews.com/articles/0,7340,L-3696887,00.html

⁵⁴ كدира بشاغودا، Modi's Triple Bottom Line، معهد السياسة الاستراتيجية الأسترالي، 5 يونيو 2014. http://www.aspistrategist.org.au/mo-dis-triple-bottom-line

خلال الخطاب عالي المستوى في بعض المحافل على غرار الأمم المتحدة. محلياً وإقليمياً، يمكن لدول الخليج أن تأتي على ذكر الهند كمثال لدولةٍ يحظى فيها الدين والتقاليد بالتقدير إلى جانب التعددية والتسامح. إن ذكر الهند كمصدر إلهام قد يرود للشأن الخارجية الهندية والقادة السياسيين الذين يرون في الهيبة قيمة مهمة.

ولاستمالة روح التعددية في الهند، يمكن أن تنظر دول الخليج في السماح بإقامة المزيد من المعابر الهندوسية ضمن حدودها، بينما تأخذ الرأي العام المحلي بعين الاعتبار.

لا بد أن تشدد دول الخليج على هويتها في مرحلة ما بعد الاستعمار، عندما تلتزم الأقسام في مؤسسة السياسية الخارجية التي لا تزال تتلاطف مع مبادئ حركة عدم الانحياز وهوية نهرو. خضعت الهند لحكم المغول ومن لديهم أصول ترك-مغولية، بينما خضعت المنطقة العربية لحكم العثمانيين الأتراك. خاضت كل من الهند والمنطقة العربية حروباً للإطاحة بهذا الحكم، بدعمٍ بسيط من البريطانيين الذين أخضعوهم لاحقاً لحكمهم. وثمة نوع من التفهم إزاء هذا النهج في وزارة الشؤون الخارجية نظراً لحس الهوية المشتركة بين الهند و”غرب آسيا”.⁵⁹

يمكن تطبيق هذه الاستراتيجيات على المستوى الكلي من خلال حملات دبلوماسية عامة وعلى المستوى الجزئي بين القادة السياسيين والدبلوماسيين.

2. تغيير الصورة من خلال بناء العلاقات

بالإشارة إلى دور الهوية في السياسة الخارجية، يتعين على دول مجلس التعاون الخليجي اعتماد نهج منسق لتحسين صورة الخليج لدى نقاط الاتقاء المهمة ذات الصلة في الهند على مستوى الشعب ومؤسسة السياسة الخارجية والقيادة السياسية. ومن شأن ذلك أن يعزز التفاهم المتبادل ويفير بين صورة دول الخليج كدول إسلامية والمعاداة تجاه باكستان. يمكن أن تبني دول الخليج علاقات ذات منفعة متبادلة طويلة الأمد ومستدامة مع الدوائر الرئيسية. وينبغي دائمًا قياس هذه الجهود مقابل مخاطر الدعاية السلبية والإساءة وظهورها على أنها تدخل في شؤون الهند الداخلية.

المتحدة الأمريكية، مع اللوبي الإسرائيلي وتعلمت منها. حتى وأسست الجمعية اليهودية الأمريكية كذلك مكتباً لها في الهند. وكانت القيم المشتركة جزءاً من التبرير الذي ورد بشأن هذا التعاون.⁵⁵

تحرك القيم أيضاً شكل علاقه الهند بإسرائيل. فالثقافتان تقدران الثقافة، وهو أمر برز في الخارج واعترف به رؤساء وزراء الدولتين. صُنِف الهنود الأقلية الأكثر ثقافةً ونجاحاً من الناحية الاقتصادية في أمريكا، وهي صورة نمطية لطالما ارتبطت باليهود.⁵⁶

الوصيات

بهدف تحقيق المصالح الاستراتيجية والاقتصادية، في ما يتعلق بالهند، يتعين على دول الخليج أن تفهم وستستخدم تأثير الثقافة كجزء من موجة تواصل فاعلة. لا بد من محاولة تطبيق التوصيات الواردة أدناه تراديًّا، أو من قبل الدول على صعيد فردي أو مجلس التعاون الخليجي ككل. ولا بد من موازتها مع السياسات المتوفرة وسيستلزم التنفيذ ضمن القيود السياسية. قد لا تكون النتائج واضحة في البداية، وكما هي الحال مع معظم الاستراتيجيات الدبلوماسية، قد يكون تحديدها أمراً صعباً.

1. الاقرابة من القيم الهندية

يمكن أن تقرب الدول الخليجية من القيم والهوية الهندية، من خلال السعي إلى تحديد الثقافة كمسؤولية وإمكانية تحويلها إلى أصل. بذلك، يتوجب على الدول الخليجية أن تبقى واعية لكيفية تأثير القيم الثقافية والهوية على سياساتها الخارجية في الشرق الأوسط.⁵⁷

إن التقارب من القيم أمر مهم نظراً لتأثير القيم الثقافية المستمرة على نهج الهند إزاء الصراعات في الشرق الأوسط التي تؤثر على دول الخليج. إن تقرباً مماثلاً يبدو ممكناً نظراً إلى أن قيم الهند أقرب إلى تلك التي تؤيدها قطر أكثر من العديد من القوى العظمى: الولايات المتحدة والصين وروسيا؛ في الحقيقة تتساوى أبعاد قيم الهند بين معظم الدول الغربية وقطر.

يمكن أن تروج دول الخليج أيضاً لنهج حيادي، مستقل ومتعدد في ما يتعلق بالمسائل الجيوسياسية، بما في ذلك من

⁵⁵ لويس تيلين، US-Israel-India: Strategic axis، بي بي نيوز، 9 سبتمبر 2003.

⁵⁶ جايسن ريشواين، Indian Americans: The New Model Minority .dal-indian-americans-opinions-contributors_immigrants_minority.html

⁵⁷ رازى، An Alternative Paradigm .699

⁵⁸ قطر والبحرين هما الدولتان الوحيدتان ضمن دول مجلس التعاون الخليجي اللتين ورد ذكرهما في خريطة القيم التابعة للدراسة الدولية للقيم؛ للمزيد من التفاصيل، راجع الملحق 1.

⁵⁹ لوحظ ذلك في المقابلات التي سبق وأقينا على ذكرها مع مسؤولين سابقين وحاليين في وزارة الشؤون الخارجية.

المسلمون الهنود

المستوى السياسي خلال الزيارات عالية المستوى إلى الخليج. وبالإضافة إلى الاستجابة لقضايا حقوق العمل، يمكن لحكومات دول مجلس التعاون الخليجي أن تدعم حصول العمال على التدريب والتعليم.

لا بد أن تضع الدبلوماسية العامة والمساعدات والمشاركة نصب أعينها ولايات معينة (الرأي العام والحكومات) مثل ولاية كيرلا، لا سيما وأن أغلبية الهند العاملين في الخليج قدموا من عدد معين من الولايات. تتعهد وزارة الشؤون الخارجية بالسماح لحكومات الولايات بمشاركة ونفوذ أكبر في السياسة الخارجية. إن ولاية كيرلا، التي تحظى بأهمية خاصة نظراً لاعتماد حزب بهاراتيا جاناتا على شركاء في جنوب الهند، تتميز بتاريخ من العلاقات الإسلامية نسبياً بين المسلمين والهندوس والمسيحيين. في الواقع، استضافت ولاية كيرلا وولايات غربية أخرى التفاعلات الأولى بين العرب والهند، إذ وفرت أساساً جيد للمشاركة.

3. دعم تقييم موضوعي لدور الإسلام في الهند

لا بد لنهرج على مدى أطول يرمي إلى تقوية العلاقات الثنائية أن يشمل بناء صورة أكثر موضوعية عن الإسلام بين الهند غير المسلمين. إن مشاكل الهوية المذكورة أعلاه في ظل حزب بهاراتيا جاناتا تعني أن المشاعر المناهضة للمسلمين قد يؤثر على السياسة الخارجية في الهند أكثر مما قد يفعل في الصين أو روسيا. في الهند، تُعد الطائفية أيضاً مشكلة سياسية أكبر مما هي عليه في أي قوة عظمى أخرى. يتضمن "تاريخ الحروب" في الهند جدالاً مُسيساً حول الأدوار التاريخية للإسلام والهندوسية.⁶¹

يمكن أن تتضمن الجهود كذلك تعزيز رواية من شأنها أن تفصل المعاناة التاريخية التي سادت في عهد الحكم المغول، كأورنجزيب، عن المفاهيم الهندية الراهنة حول الإسلام والولايات العربية على حد سواء. كانت الهند تتمتع بعلاقات سلمية مع العرب قبل المغول. وأتق التجار والمهاجرين من المنطقة العربية، لا سيما من اليمن وبيلاد فارس، قبل الإسلام. يعود التبادل التجاري على طول السواحل في مالابار وسريلانكا وساحل البنغال إلى القرن الأول.⁶² ومن القرن السابع وحتى القرن العاشر، كان الوافدون من الخليج الجنوبي يستقرون في غوجارات.⁶³ وفي العام 629، تم تشييد أحد أول المساجد في العالم في ولاية كيرلا من قبل تاجر عربي.⁶⁴

نظراً لقوة الهوية الإسلامية، يعتبر المسلمين الهنود المجموعة الأكثر تقبلاً.⁶⁰ يمكن أن تمثل دول الخليج مشاريع من شأنها أن تعزز التأييم الديني والثقافي والطائفي بين الهندوس والمسلمين (السنة والشيعة على حد سواء)، وغيرهم. ويمكن أن تشمل الحوارات زعماء دينيين هنود وقادة مسلمين هنود وخليجيين.

إلا أن الاتصال لا يجب أن يكون محصوراً بال المسلمين الهنود، لأن ذلك يعزز الفكرة الثابتة أن ولايات المسلم الهندي لخارج الهند.

قادة الرأي

مما لا شك فيه أهمية القادة النافذين في السياسة والصناعة والدين والإعلام لإقامة أي نوع من العلاقات. وعقب زيارة مودي الطموحة إلى الإمارات العربية المتحدة، لا بد من دعوته أكثر فأكثر، على أن لا يتم الإعلان عن هذه الدعوات إلا إذا قبلها رئيس الوزراء. بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن تتصرف دول مجلس التعاون الخليجي كما فعلت إسرائيل من خلال عرض رحلات على قادة الرأي لزيارة المنطقة والتعرف على ثقافتها.

يتعين على دول الخليج أن تنخرط بشكلٍ رصين مع قادة المنظمات السياسية القومية، بما في ذلك مجموعات الهندوس. وفي حين قد يبدو ذلك صعباً، ثبت في السنوات الأخيرة أن التوترات الطائفية شكلت عائقاً انتخابياً بالنسبة لحزب بهاراتيا جاناتا في بعض المناطق. في الوقت عينه، يمكن إقامة العلاقات مع الأحزاب السياسية العلمانية.

الاستفادة من الجالية الهندية في الاغتراب

لا بد لدول الخليج تسخير المغتربين الهنود في المنطقة البالغ عددهم 7 ملايين هندي والذين يشكلون جسراً ثقافياً مع الهند ويرسلون إليها حوالات سنوية تصل قيمتها إلى 40 مليار دولار. يدعم ذلك أكثر فأكثر دور الوسيط الذين يؤدونه بين الهند والشرق الأوسط الأوسع. تتمتع الجالية الهندية بالقدرة على فهم الثقافتين بشكلٍ عميق وهم ليسوا عمال يدوين فقط، إنما موظفين ويشكلون جماعات غنية ونافذة كما هي الحال في سلطنة عمان. وقد تم التنويه إلى أهمية الجالية على

⁶⁰ شibli Tlalhami وMaike Barnewitz، *Identity and Foreign Policy in the Middle East*، نيويورك: جامعة كورنيل، 2002.

⁶¹ شاندان ميتا، The Voices of a History، لروميلا ثابار، إنجيا تودا، 16 فبراير 2004، <http://indiatoday.intoday.in/story/book-review-of-romila-thapar-somanatha-the-many-voices-of-a-history/1/196624.html>

⁶² إندرية وينك، *Al-Hind, The Making of the Indo-Islamic World: Early Medieval India and the Expansion of Islam 7th-11th Centuries*

(ليندن: إي. جي. بريل، 1990)، 68.

⁶³ أتول ستي، Trade, Not Invasion Brought Islam to India، تايمز أوف إنديا، 24 يونيو 2007، <http://timesofindia.indiatimes.com/india/>، 2007، <http://articleshow/2144414.cms>

⁶⁴ المرجع نفسه.

الخاتمة

تمرّ منطقة الشرق الأوسط بمرحلة حرجية في تاريخها. يمكننا القول إن دول الخليج تواجه تحديات كبيرة أكثر من أي وقت مضى منذ الاستقلال. إلا أنه عصر الفرص الكبيرة. إن العلاقات مع الهند، لا سيما في ظل حكم رئيس الوزراء مودي وحزب بهاراتيا جاناتا، تعكس هذا السيف ذو حدين. إن الأيديولوجية الثقافية - القومية لقاعدة حكومة حزب بهاراتيا جاناتا تفت انتباهاً أهم إلى الثقافة، حتى وإن كان يساعد فقط على تحديها كعامل يؤثر سلباً على السياسة.

إن البراغماتية والانفتاح الذين أظهرتهما مؤخراً حكومة مودي يجعل ذلك ممكناً. قال رئيس الوزراء أثناء زيارته للإمارات العربية المتحدة متأسفاً "لقد طلب الأمر 34 عاماً ليزور رئيس وزراء هندي هذه البلاد".⁶⁶ تكللت الزيارة ببيان مشترك، عكست خمسة مقاطع منه أهمية القيم الثقافية والهوية التي تحركها الثقافة.⁶⁷ إن فهم دور الثقافة وإدارته وتسخيره يمكن أن يساعد على إنهاء عقوود من الركود الاستراتيجي، والسماح لدول الخليج بالتعاون والاستفادة إلى أقصى حدّ من إحدى أهم علاقاتها المستقبلية.

لا بدّ أن يعترف التواصل الثقافي أيضاً كيف أن الإسلام أثر على القيم الثقافية الهندية وتأثر بها. قد يكون الإسلام قد ترك تأثيره الأكثر ثباتاً على القيم الثقافية في المجتمعات الهندية في شكلٍ غير مباشر، عبر تشكيل التطورات في الديانة الهندوسية خلال العصور الوسطى. على سبيل المثال، رفعت الطرق الصوفية، التي جذب أعداداً كبيرة من الناس وتواصلت بفعالية مع المجتمع الهندي، من قيمة المساواة.⁶⁸

4. المساعدة على تحسين صورة الهند بين الشعوب المسلمة

نظرأً لاستقرار دول الخليج ووصايتها على الواقع الإسلامية المقدسة والتأثير الثقافي المتنامي والموارد الاقتصادية والشعوب الهندية الكبيرة، يمكن أن تعرّض هذه الدول مساعدة العلاقات الثقافية الهندية الأوسع وصورتها في الشرق الأوسط والعالم الإسلامي، بما في ذلك ولاية جامو وكشمير الهندية التي تشهد اضطرابات. من شأن ذلك أن يعزّز جهود مودي المذكورة أعلاه لتحسين صورته داخلياً. ويمكن تقديم الدعم الدبلوماسي للهند كي تنضم إلى منظمة التعاون الإسلامي، بما في ذلك من خلال دفع باكستان إلى السماح بذلك.

يعتبر ذلك ذا قيمة عالية بالنسبة لحكومة حزب بهاراتيا جاناتا برئاسة مودي نظراً لسمعته المناهضة للمسلمين في عيون المجموعات المسلحة الإسلامية، مثل حركة طالبان وتنظيم القاعدة المؤسس حديثاً في شبه الجزيرة الهندية. إن المحافظة على صورة إيجابية في المنطقة أمرٌ غاية في الأهمية، نظراً لعدد الهندود الكبير العاملين فيها المعرضين لخطر الاختطاف على أيدي المتطرفين. بالإضافة إلى ذلك، وخلافاً للقوى الكبرى أو الإقليمية الأخرى، لا تتمتع الهند بوجود أمني على الأرض في مناطقة الشرق الأوسط المضطربة. في الماضي، تسببت الصراعات الكبيرة برحلات جوية مكلفة.

5. التأكيد على المصالح الاستراتيجية

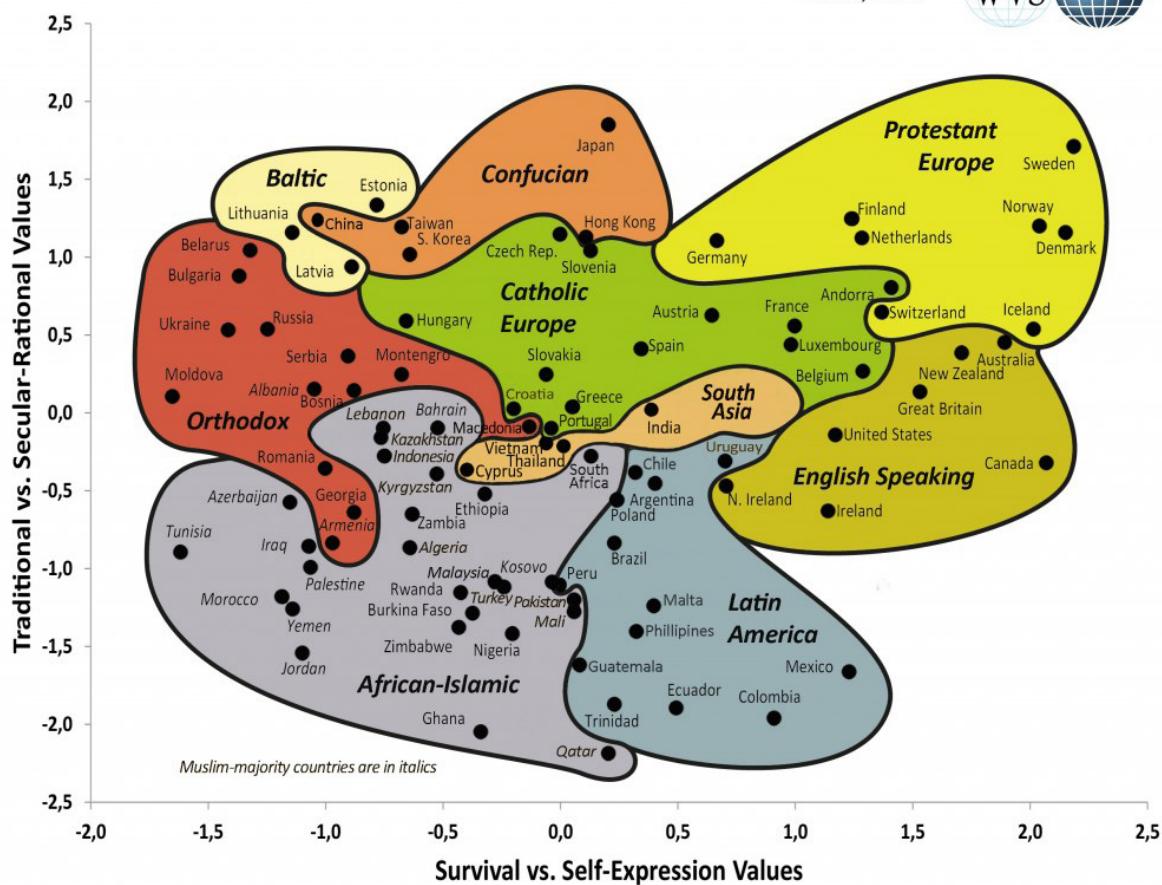
في حال بدأت الثقافة والقيم والهوية تؤثر على السياسة الخارجية الهندية في ظل حكم حزب بهاراتيا جاناتا بشكلٍ يضر بمصالح دول الخليج، يمكن أن تحاول دول مجلس التعاون الخليجي أن تؤكد أهميتها الكبرى بالنسبة لمصالح الهند الممادية، على الصعيدين الاستراتيجي والاقتصادي. ومن المرجح أن يخلق ذلك تأثيراً، نظراً إلى الانفصال العام بين النطاق المحلي الأيديولوجي العاطفي والمدفوع بالقيم والطبيعة الباردة والحدّرة للنطاق الدولي.

⁶⁵ بثياغود، 98-97، *The Influence of Cultural Values*.

⁶⁶ أنام ريزفي، Indian PM Hails UAE as a Rainbow Nation in Dubai Speech، <http://www.thenational.ae>، ذا ناشيونال، 18 أغسطس 2015.

<http://uae.indian-pm-hails-uae-as-a-rainbow-nation-in-dubai-speech>

⁶⁷ بيان مشترك، مكتب المعلومات الصحفية، الهند.



⁶⁸ خريطة إنجلهارت - ويلزيل الثقافية (الدراسة العالمية حول القيم، 2015)، <http://www.worldvaluessurvey.org/WVSContents.jsp>

الملحق 2: تأثير القيم على التدخل الهندي

ملحوظة: تشير الأعمدة 4-2 إلى القيم وما إذا "دفعت" القادة الهندو أو "سمحت" لهم باعتماد تفضيل وتصور سياسي معين. تشير كلمة "تدفع" إلى تأثير قوي، في حين أن كلمة "تسمح" تعني أن القيمة تساعد فقط على تسهيل التفضيل/ التصور. على سبيل المثال، في ما يتعلق باحتياج العراق في العام 1991، دفعت قيمة الاعنة إلى تفضيل السلام الدولي. وقد أثر ذلك بدوره على موقف الهند من الصراع كما هو مشار إليه في العمود 6.⁶⁹

الموقف	فضائل أو تصورات ناتجة عن القيم الثقافية	الهيمنة	التجددية والتسامح	الاعنة	التدخل
محايدة رسمياً. احتجت الأحزاب السياسية وتوقيت عن تزويد الطائرات الأمريكية بالوقود في الهند.	فضيل السلام العالمي، بما في ذلك الحل الإسلامي للصراع			تدفع	العراق 1991
	فضيل التزام الحذر في استخدام القوة وتفضيل استخدامها كخيار أخير/ التصور أن القوة لن تجدي نفعاً			تدفع	
	فضيل دعم السيادة	تدفع	تدفع	تدفع	
	التصور أن الهند كانت قوية جداً حيث أنها لم تخش التدخل الإنساني غير المرغوب به	تدفع			
عارضت الغزو ورفضت طلب الأمم المتحدة بتقديم جنود لحفظ السلام.	فضيل السلام العالمي، بما في ذلك الحل الإسلامي للصراع			تدفع	العراق 2003
	فضيل التزام الحذر في استخدام القوة وتفضيل استخدامها كخيار أخير/ التصور أن القوة لن تجدي نفعاً			تدفع	
	فضيل دعم السيادة	تدفع	تدفع	تدفع	
	فضيل تفويض الأمم المتحدة أو متعدد الأطراف أو قانوني للتدخل أو السيطرة عليه	تسمح	تدفع	تدفع	
	فضيل قبول مختلف مذاجر النظام	تسمح	تدفع		
	فضيل المحافظة على صورة تعددية ومتسامحة	تدفع	تدفع		
	التصور أنه يتبع على الهند أن تقدم آرائها وأن تخضع ملءاً نظراً لحالتها.	تدفع			
	فضيل عدم تأييد هيمته الدول القوية على الدول الضعيفة	تسمح			
	التصور أن الهند كانت قوية جداً حيث أنها لم تخش التدخل الإنساني غير المرغوب به	تدفع			
امتنعت عن التصويت حول منطقة حظر طيران، وانتقدت لاحقاً تجاوز حلف شمال الأطلسي (الناتو).	فضيل دعم السيادة		تدفع	تدفع	ليبيا
	فضيل السلام بين الدول		تدفع	تدفع	
	فضيل التزام الحذر في استخدام القوة وتفضيل استخدامها كخيار أخير/ التصور أن القوة لن تجدي نفعاً			تدفع	
	فضيل دعم السيادة	تدفع	تدفع	تدفع	
	فضيل تفويض الأمم المتحدة أو متعدد الأطراف أو قانوني للتدخل أو السيطرة عليه	تسمح	تدفع	تدفع	
	فضيل قبول مختلف مذاجر الأنظمة	تسمح	تدفع		
	فضيل التدخلات الإقليمية	تسمح	تدفع		
	فضيل دعم الركن الأول من مسؤولية حماية العقيدة. ⁷⁰	تسمح	تدفع/ تدفع	تدفع	
	فضيل دعم الركن 2 من مسؤولية حماية العقيدة	تدفع	تسمح/ تدفع	تدفع	
	فضيل معارضة الركن 3 من مسؤولية حماية العقيدة.	تدفع	تدفع	تدفع	
	التصور أن الهند كانت قوية جداً حيث أنها لم تخش التدخل الإنساني غير المرغوب به	تدفع			

⁶⁹ بنياغودا، The Influence of Cultural Values . About R2P⁷⁰ ، المركز العالمي مسؤولية الحماية، 3 ديسمبر 2015 .http://www.globalr2p.org/about_r2p

سوريا	عامل دفع			تفضيل السلام العلني، بما في ذلك الحل السلمي للصراع	عارضت التدخل، أيتت الحل السياسي
	تدفع			تفضيل السلام بين الدول	
	تدفع			تفضيل التزام الحذر في استخدام القوة وتفضيل استخدامها كخيار آخر/ التصور أن القوة لن تجدي نفعاً	
	تدفع			تفضيل دعم السيادة	
	تدفع			تفضيل تفويض الأمم المتحدة أو متعدد الأطراف أو قانوني للتدخل أو السيطرة عليه	تساهم
	تدفع			تفضيل التزام العذر في إدانة سلوك الدول الأخرى ضمن حدودها	
	تدفع			تفضيل التدخلات الإقليمية	تساهم
	تدفع			تفضيل دعم الركن 1 من مسؤولية حماية العقيدة	تساهم
	تدفع			تفضيل دعم الركن 2 من مسؤولية حماية العقيدة	
	تدفع			تفضيل معارضة الركن 3 من مسؤولية حماية العقيدة	
	تدفع			التصور أن الهند كانت قوية جداً حيث أنها لم تخش التدخل الإنساني غير المرغوب به	

نبذة عن مركز بروكنجز الدوحة

تأسس مركز بروكنجز الدوحة، التابع لمعهد بروكنجز في واشنطن العاصمة، في العام 2008. ويُعتبر المركز نافذة المعهد في المنطقة ويقدم بحوثاً وتحليلات مستقلة وعالية الجودة حول منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

وسعياً منه لتحقيق مهمته، يلتزم المركز بتقديم مشاريع وأبحاث ميدانية تتناول نقاشات السياسة الإقليمية والدولية، مرتكزاً على إشراك شخصيات بارزة حكومية وإعلامية وأكademية ورجال أعمال وممثلين عن المجتمع المدني، بشأن أربعة مجالات أساسية:

- (I) العلاقات الدولية في الشرق الأوسط، مع التركيز على أهمية العلاقات بين دول المنطقة وكذلك العلاقات بين الشرق الأوسط والولايات المتحدة وآسيا.
- (II) الصراعات والتحولات بعد الصراعات، بما في ذلك مسألة الأمن وعمليات السلام وإعادة الإعمار.
- (III) الاستراتيجيات الاقتصادية والمالية في دول الشرق الأوسط، بما في ذلك الجغرافيا السياسية واقتصاديات الطاقة.
- (VI) الحكم والإصلاح المؤسسي، بما في ذلك الدمقرطية وال العلاقات بين الدول والمواطنين.

يشجع مركز بروكنجز الدوحة، الذي يفتح المجال أمام كافة وجهات النظر مهما اختلفت، على التبادل الفيـم للآراء بين منطقة الشرق الأوسط والمجتمع الدولي.

منذ تأسيسه، استضاف المركز عشرات الخبراء من مختلف دول العالم ونظم عدداً كبيراً من الفعاليات، بما في ذلك موائد مستديرة ضمّنت شخصيات رفيعة المستوى، وندوات السياسة، و منتدى بروكنجز الدوحة للطاقة الذي يُعقد سنويًا. وبالإضافة إلى ذلك، قام المركز بنشر سلسلة من موجزات السياسة والأوراق التحليلية.

منشورات مركز بروكنجز الدوحة

2015

التعامل مع دلهي: كيف ترسم الثقافة سياسة الهند تجاه الشرق الأوسط
موجز السياسة، كَدِيرَا بِشِياغُودَا

المقاتلون الأجانب العائدون: تجريمهم أم إعادة دمجهم؟
موجز السياسة، تشارلز ليستر

مسؤولية حماية التعليم العالي وإعادة بنائه في العالم العربي
موجز السياسة، سلطان بركات وسانسوم ميلتون

الإبحار في أجواء عدم اليقين: رد قطر على طفرة الغاز العالمية
دراسة تحليلية، ناصر التميمي

موجز سياسات منتدى مركز بروكنجز الدوحة 2015
تقرير مركز بروكنجز الدوحة - مبادرة أمن الطاقة بمعهد بروكنجز

قبول الاعتماد المتبادل: ديناميكيات الصين والشرق الأوسط
موجز السياسة، تشاوولينج فنخ

الإخوان المسلمين في الأردن: حان وقت الإصلاح
موجز السياسة، نيفين بندقجي

هبوط أسعار النفط: الأسباب وال subsequences الجيوسياسية
موجز السياسة، غريغوري غوس

إصلاح قطاع الكهرباء في العراق
موجز السياسة، لؤي الخطيب وهاري استبيانيان

من التعاون إلى القمع: العلاقات "الإسلامية-العسكرية" في مصر
دراسة تحليلية، عمر عاشور

الأردن الحصين: تشغيل الأموال لتفعيل الأعمال
موجز السياسة، سلطان بركات وأندرو لير

العودة إلى غزة: نهج جديد لإعادة الإعمار
موجز السياسة، سلطان بركات وعمر شعبان

2014

تحديد معلم الدولة الإسلامية
دراسة تحليلية، تشارلز ليستر

الواسطة القطرية: ما بين الطموحات والإنجازات
دراسة تحليلية، سلطان بركات

موجز سياسات منتدى مركز بروكنجز الدوحة 2014
تقرير مركز بروكنجز الدوحة - مبادرة أمن الطاقة بمعهد بروكنجز

ما وراء الطائفية: الحرب الباردة الجديدة في الشرق الأوسط
دراسة تحليلية، غريغوري غوس

الأزمة المستمرة: تحليل المشهد العسكري في سوريا
موجز السياسة، تشارلز ليستر

إعادة النظر في قانون العزل السياسي في ليبيا: تغيير في الوجوه أم تغيير في السلوك؟
ورقة مركز بروكنجز الدوحة-جامعة ستانفورد

أي أسلوب اعتمدته النهضة أثناء عملية صياغة الدستور التونسي: الإقناع، الإكراه، أو تقديم التنازلات؟
دراسة تحليلية، مونيكا ماركس